العنوان:	تأملات في فكر التطرف فيما بين الحربين التطرف مرض تاريخي أفرزته الفاشية والنازية
المصدر:	الوثيقة
الناشر:	مركز عيسى الثقافي - مركز الوثائق التاريخية
المؤلف الرئيسي:	المقدود، إبراهيم
المجلد/العدد:	مج 16, ع 31
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1997
الشهر:	يوليو - صفر
الصفحات:	177 - 190
رقم MD:	131085
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الحرب العالمية الثانية ، الفاشية ، النازية ، التطرف الفكري ، ابن حزم ، علي بن أحمد، ت. 456 هـ، الحرب العالمية الأولى ، الأزمات الاقتصادية ، ألمانيا ، النظم السياسية ، الليبرالية ، أوروبا ، العلاقات الإنسانية ، العلاقات الاجتماعية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/131085

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

المقدود، إبراهيم. (1997). تأملات في فكر التطرف فيما بين الحربين: التطرف مرض تاريخي أفرزته الفاشية والنازية.الوثيقة، مج 16, ع 31 .190 - 177 ، مسترجع من 131085/Record/com.mandumah.search//:http

إسلوب MLA

المقدود، إبراهيم. "تأملات في فكر التطرف فيما بين الحربين: التطرف مرض تاريخي أفرزته الفاشية والنازية."الوثيقةمج 16, ع 31 (1997): 177 - 190. مسترجع من 131085/Record/com.mandumah.search//:http

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

تأملات في فكر التطرف فيما بين الحربين

التطرف مرض تاريخي أفرزته الفاشية والنازية

بقلم الدكتور :

إبراهيم المقدود

" إن كثيراً من الناس كتبوا في افتراق الناس في دياناتهم ، ومقالاتهم كتباً كثيرة جداً فبعضهم أطال وأسهب ، وأكثر وهجر ، واستعمل الأغاليط والشغب ، فكان ذلك شاغلاً عن الفهم ، قاطعاً دون العلم ؛ وبعضٌ حذَف وقصَر ، وقلَّل واختصر ، وأضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات ، فكان في ذلك غير منصف لنفسه في أن يرضى لها بالغبن في الإبانة ، وظالماً لخصمه في أن لم يوفه حق اعتراضه ، وباخساً حق من قرأ كتابه إذ لم يغنه عن غيره ، وكلهم . . عقَّد كلامه تعقيداً يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم ، وحلق على المعاني من بُعد ، يُنسي آخر كلامه أوله، وأكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم ، فكان هذا منهم غير محمود في عاجله وآجله[1] .

هكذا تحدث ابن حزم الأندلسي في كتابه " **الفصل في الملل والأهواء والنحل** " عن المنهج الذي يجب السير عليه في دراسة الظواهر الفكرية ، وهذا من القواعد التي التزمها المسلمون في الدراسات المقارنة للملل والنحل ، تتميز بالحيدة التامة في عرض وجهة نظر الآخرين ، دون أية محاولة للرد عليها أو إظهار بطلانها أو تهافتها قبل إتمام العرض ونراه جلياً في كثير من الأعمال مثل كتاب " مقالات الإسلاميين " لأبي حسن الأشعري وكتاب " الملل والنحل " للشهرستاني و " مقاصد الفلاسفة " للغزالي ، فقد بدأ المسلمون بدراسة الظواهر الفكرية والعقائد المذهبية مبكراً ، وكانوا أول من وضع بعض قواعد المنهجية لدراسة الملل والنحل ، وأن غيرهم ممن اشتغل بهذه العلوم اتبع قواعدهم واستفاد من محاولاتهم[٢] ولم تكن الدراسات مقتصرة عن الظواهر الفكرية والدينية في دار الإسلام فقط فدراسات البيروني عن معتقدات الهند - من مقبولة في العقل أو مرذولة - رغم البعد الجغرافي للهند ، فقد قام المسلمون بدراسة العقائد والملل والظواهر الفكرية خارج دار الإسلام أيضاً لفهمها واستيعاب إيجابياتها وسلبياتها بما يوضح معالم الطريق التي تمكن من دراسة التيارات الفكرية المختلفة المآرب ، تجنبا لتطبيق الأنماط الجاهزة والمفاهيم التقليدية والتعليلية ، وفك وتحرير كل مفهوم من المضامين الجامدة المضمنة فيه بحيث يتحمل المفهوم التعيين ثم الطرح بكيفية إشكالية وفتح طرق جديدة للبحث والتنقيب حتى لا تسد الأبواب أمام تقاليد البحث الإسلامية العلمية العقلانية[٣] .

التزم ابن حزم مبدأ الوضوح في الطرح ، والدقة في إبداء الرأي ، واجتناب التعقيد في الفكر ، واستيفاء حجج الخصوم عند العرض ، تتميز عقلانيته عند تفسير الظواهر عند قوله : " بأن العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد ، ويكون ذلك إما بشهادة الحواس " التجربة العلمية " وأول العقل " العقلانية " ، وإما ببرهان راجع من قرب أو من بعد إلى شهادة الحواس . . ورد الروايات التاريخية التي تصادم مقررات العلوم على ما وصلت إليه في عصره من الحساب والهندسة والجغرافيا والحيوان والنبات والمعادن ، وبالجملة كل ما يتعارض مع القوانين اليقينية الثابتة المطردة التي يسير العالم والمجتمع الإنساني ، حسب

مقتضياتها ، وهذا " الروايات " يعد عند ابن حزم كذباً ، ومحالاً من باب ما يتسلى به العجائز من الخرافات والأسمار[٤] ، وفي تباين اختلاف الصور ، واختلاف الهيئات وتباين الأخلاق ، إنما يقال هذا الشيء يشبه هذا على أن ذلك في أكثر أحوالهما لا في كلها . . . وقد علِمنا بالمشاهدة أن كل ما يتكرر عليه ذلك الشيئان المتشابهان تكررا كثيراً ، متصلاً بأنه لابد أن يفصل بينهما ، ويميز أحدهما عن الآخر ، لا يشبهه فيها[٥] إذا ما توفر القاسم المشترك للظاهرة فحتماً يكون التشابه في جزئية الظواهر لا في كليتها .

" عندما تستتب أمور الحياة بتوفر الأمن والراحة النفسية في فترة تاريخية ما ، يقوم الإنسان السياسي بوضع الحدود والإدارة والتشريع للدولة ، قائمة على أمل خلق بيئة خالية من العنف ، ولكن عندما تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ، يكون من سوء الحظ وشؤم الطالع أن تعيش الأمة فترة تهدد بانحلال الأسس التقليدية للوطن ، وفي المجتمع وفي بناء العلاقات الإنسانية ؛ ذلك عندما تصبح حرية فرد أو أفراد معدودين تهدد حرية وأمن الآخرين ، هنا تكون السيادة للعنف " هذه الملاحظة قدمها ميرليو بونتي Merleau Ponty في مقدمة كتابه " الإحياء الثقافي والعنف " مشيراً إلى الكارثة الأوروبية في فترة ما بين الحربين ، فأطر بشكل مثالي الشروط والأوضاع والخلفيات السياسية والبسيكولوجية التي نما فيها وانفجر التطرف بالمفهوم الحديث ، متمثلاً في فكر الفاشية حيث يكون ظاهرياً نتاجاً وخلاصة لتغيرات كبيرة فعلت فعلها في العلاقات بين الناس ، وشكلاً سياسياً يجنح إلى الشمولية بإقحام جميع مظاهر ووضعية الحياة الإنسانية ، وإخضاعها إلى تفسيرات ذلك الفكر والتعبير عنها على مستويات متعددة تتميز بالحدة والشطط ، حاملة بها إلى أقصى درجات التطرف ، كما تشتمل تفسيراتها ، المتناقضات والاتجاهات الفكرية الأخرى والجديد الذي لم تتضح معالمه بعد ، في عالم السياسة والاجتماع في اقتران متباين ؛ وهو الوضع الذي كانت عليه أوروبا في النصف الأول من القرن العشرين ، وهذا يحتم إعطاء الظاهرة شكلاً مشبعا ومركزاً باعتبارها مرحل تاريخية هامة على مستوى المعاني والمفاهيم[٦] فإذا ما اعتبرنا تحديد فترة تاريخية معينة ، يميزها الصراع السياسي ، والتواتر

السريع للأحداث ، ما يعطي شكلاً جديداً للظواهر ، فإنه لا مجال من التنصل من تسمية فترات الحرب الكونية بزمن " التطرف الفكري " ؛ فالتطرف الفاشي ، التقت في بؤرته وعلى مستويات مختلفة العديد من خطوط الأزمات الناتجة عن خلل في التوازن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، يرجع ظهورها إلى القرن السابق لنمو الظاهرة ، حيث أخذت الأزمات تنمو لتصل إلى مستوى النضوج في العشرينات والثلاثينات ، مستقطبة حولها حالات الاكتئاب والانكسار وعدم الرضى المتفشي في ثنايا الشرائح الاجتماعية التي تعيش أزمة النظام الذي كان قديماً / جديداً في نفس الوقت ، والذي شهد إقحام الناس في مرحلة التحول الرأسمالي العالمي في تجربة للانتقال إلى مرحلة أكثر تطوراً ، فبدا الحجم الحقيقي للعالم الموضوعي ، بصرف النظر عن العقلانية الإنتاجية ، أكثر تعتيماً ومشوباً بالظلال التي صعُب معها تحديد معالمه .

في القرن الثامن عشر بشرت نخبة المفكرين والمثقفين والكتاب والفنانين بمستقبل عملية التحول الاجتماعي والإنتاجي الضخمة التي أقحمت فيما بعد وزجت عمودياً بكامل منظومة حركة العلاقات الإنسانية والاجتماعية بإثارة جذور القيم فيها ، وتحريكها من الأعماق ، محطمة الوحدة الروحية والثقافية التي كانت تميز ذلك القرن ، فكانت الدعوة إلى مناهضة العالم التاريخي وواقعيته وشن حرب شعواء ضد القيم الجمالية التقليدية[٧] .

فإذا كان هذا هو الدور الفكري التخميني المبشر بمستقبل تغير واقع واتجاه التفكير وإلى إعادة قراءة التاريخ ، فإن العلم بدوره قد أخذ في استعمال أدوات جديدة ووسائل قائمة على العقلانية الجديدة [٨] والتنظيم العلمي للإنتاج ، مما أدى إلى إحياء حركة تجديدية قلبت نظام الرأسمال العالمي القديم رأساً على عقب .

أدى ظهور هذه المفاهيم الجديدة في الفكر وفي عالم الإنتاج ، وقيادتها للتحولات الكبيرة إلى خلخلة النظم نفسها ، وإلى نشوء فراغ وجد الفكر المتطرف فيه كوة يدخل منها وينمو داعياً إلى القديم ، فكان تطرفاً ناجماً عن عملية التحول ، يهدف إلى إغلاق أبواب المتناقضات التي فتحت في عمق النسيج الاجتماعي فطرح فكر التطرف

نفسه على أنه " الفكر والتنظيم الذي يمكنه الحد من التحول السريع وربما إيقافه ، والفصل بين المستوى السياسي ومظاهر الحياة الأخرى ، على أن يحتل بشكل كامل وشمولي تنظيم العلاقات الإنسانية " فصعد بذلك إلى أعلى مستوى الأزمات التي أثارتها عملية التحول والتحديث الكبرى مقدماً " شكلاً جديداً / قديماً للتحديث " يخفي وراءه أصوليته وتطرفه ليصبح باطنياً إلى حد ما ، والإيحاء ببرنامج لتنظيم كافة مظاهر الحياة العملية والروحية ، وهذا يتفق مع المصطلح الذي غالبا ما وصف به الفكر المتطرف الفاشي وهو أنه " فكر تدخلي " في كامل مجالات الحياة بما في ذلك العلاقات الشخصية الفردية وصيغ السلوك ، وكل هذا قصري بمنظور أحادي الاتجاه . ويؤكد على " شخصنة السياسة " بوضعها في مصدر وضعي واحد للتشريع والتنفيذ وتسييس التصرفات والسلوك من خلال إيديولوجية متطرفة ونشطة تتصف بالتميز و" الاختيارية " فنجد عنصرية العِرق وسمو الفرد / الفرقة / الجماعة[٩] . والحرص على استعمال الطرق التقليدية في مجال التصوف السياسي والديني وفي نفس الوقت استغلال ما تمنحه " التكنولوجيا " ونمو قوى الإنتاج ، خاصة في مجالات الاتصالات ، وطرق تطويع الرأي العام وممارسة العنف والإرهاب بشكل شامل منظم ودقيق .

عني الكثير من الباحثين بتفسير سمات الظاهرة " الفاشية " كنظرية للتطرف الفكري[١٠] فالحديث عن النظرية ، بالذات من حيث مجالها الشمولي ، لا يسعنا الوقت إيفاء الحديث حقه بالتطرق إلى تحديد خصوصية الظاهرة ، وسنحاول طرق باب النموذج العام للتحليل ، الذي تعرض إلى المتغيرات الهامة وعبر عن الكيفية السائدة التي تعاملت مع ظاهرة تميزت بالجرأة ، فالتفسير يعني افتراض وجود موقف تحدده القيم والفكر بشكل أو بآخر ، فإذا كان الإنسان سيد فضائه كما يقول لوكاش ، يحكمه العقل وتسيره القيم ، فإن ترتيب المادة الوثائقية المعقدة ، يحتم أن يكون للثقافة المعاصرة الشكل السيادي لفهم معضلات العصر ، ولترتيب مبادئ نظريات التطرف ، كي يكون هناك مجال للمقارنة بينها والوصول إلى " المحتوى النقدي المتكامل " لها ، وهذا ضروري حيث تبعثُر وتعدُد

التحليلات ؛ فقد أدت شمولية وعمق الظاهرة إلى تمحور التحليل على أسس العلوم التقليدية التي اهتمت بالمظهر التاريخي السياسي ، ولكن التسجيل التاريخي أظهر محدوديته فكانت الدعوة إلى مساهمة جميع فروع العلوم الإنسانية من علم الاجتماع إلى علم النفس الاجتماعي و " الأنثروبولوجيا " والفلسفة ، والاقتصاد وعلوم اللغة وعلم الكلام ، فأدلى كل بدلوه ، وأنجز مادة التحليل مفسراً على ضوء علمه ، ولغته وجدليته ، وكان من الصعب إيجاد أرضية موحدة لها بالمقابلة مع تفسيرات الآخرين ، نشير هنا وبشكل مقتضب إلى بعض من نتاج التحليلات الغربية للظاهرة فيرى إ. نولت E. Nolte أنها " ظاهرة عصر تتعدى السياسة[١١] وأغلب الكتابات التي تعرضت للناحية النفسية والبسيكولوجية الفردية والجماعية " تعبير سلوكي طبيعي للإنسان يتصف بالإثارة والغريزية ويتميز بعدم القدرة والعجز[١٢] و" جنون شيطاني "[١٣] و " الاستمتاع برثاء الذات "[١٤] والماركسيون يرونها " تعبيرا عن الرأسمالية التي وصلت إلى أقصى مداها والمتمثلة في الإمبريالية " [١٥] .

النظرية الاجتماعية الاقتصادية لدى كروشانو تقول : " هبوط مستوى الضمير النازع إلى الحرية "[١٦] و " نزوع سيزوقراطي أي نزوع إلى النفسية الطفولية التي ترى الحقائق الخارجية بشكل كلي بدل التمييز وتعيين الخصوصيات " . ويصفها لوكاش بأنها " أفكار غير عقلانية تعبر عن الانحطاط حيث أنها [ايديولوجية] رجعية عدائية " و " تجمع غير متجانس " لاشك أن هناك نوعاً من عدم التجانس بين التفسيرات المختلفة ولكن في نفس الوقت هناك الكثير من نقاط الالتقاء ، عند المقابلة بينها ،مما يجعل من الضروري تحديد أسس منظمة يمكنها تجاوز محدودية مختلف العلوم عندما يوضع كل منها على حدة ، والدخول إلى مركز مجالات التفكير بحيث نكون في وضعية تسمح لنا بتقابل ومقارنة مختلف التفسيرات ، في أسسها وكيفيتها .

فالزخم والتشيع السياسي الذي يدفع به الفكر المتطرف ، الناشئ عن ارتباطه بالخطوط الأساسية للحركة السياسية وأهميتها في الغرب المعاصر " سواء من حيث مفهوم الدولة والدستور والرقابة الاجتماعية ، والعلاقات بين

القوى السياسية والاقتصادية وبين الحرية والمركزية . . . إلخ " يجعل مادة التفسير متراكمة الجوانح ، مما يفرض ترتيب نوعي قادر على احتواء الحركة التاريخية والسياسية وتحديد دورها كعامل رئيسي بين عوامل أخرى لا تقل أهمية . بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وانقضت ، كان لابد أن تتواصل الحرب بصيغ أخرى في إيطاليا ، فقد كانت فترة مليئة بالأحداث ، فالحماس الذي أثير في مرحلة الحياد / اللاحرب واللاسلم ، ومن بعد حالة الاكتئاب التي رافقت العمليات العسكرية ، وخيبة الأمل في الدبلوماسية ، والآمال التي لم تتحقق ، والوعود التي لم يوف بها ، وارتفاع حرارة النفوس ، والتغيرات في الطبقات الاجتماعية ، إضافة إلى أزمة اقتصاد ما بعد الحرب ، والمشكلات المالية ، والتناقض والانفصام الروحي ، كل هذا أدى إلى حرب بوسائل مغايرة " .هذا التفسير الذي يعطي الحرب أهمية كبيرة في الصياغة التاريخية لنشاط بؤر التطرف ، يعتبر من الأسس الهامة التي توحي بما تكون عليه الحال فور انتهاء الحروب ، فمحاولة استقطاب الأسباب الخارجية فقط حول المحور السياسي والاجتماعي التقليدي بإعطاء الحرب " القوة المحركة Deus exmachina " فيه شيء من المبالغة ، وإن كان هذا التبسيط يوحي بشيء من راحة البال .

إن إضفاء الشرعية على الدولة الليبرالية كشكل سياسي مجد يحتاج إلى زمن موضوعي يفترض إرجاع الأزمات إلى عوامل وقتية وإلى ضرورات ، ما إن تنتهي حتى يعود النظام السياسي والاجتماعي القديم وبذلك يكون الفكر السياسي المتطرف عبارة عن " وقفة في الزمن " حيث كانت الحرب الفرصة السانحة لفرض نفسه ، وبلوغ ما بلغ .

فقد استغلت الفرق المنتمية إلى الأفكار الفاشية المتطرفة أحداث ما بعد الحرب العالمية الأولى والانتفاضات العمالية والشعبية والصراع الاجتماعي حول أسس الدولة والدستور ، شاهرة مبدأ " القيم " و " النظام " لتدخل المعمعة السياسية كحكم بين القوى السياسية التي كانت تحلل الظاهرة دون إعطائها البعد الحقيقي[١٧] فمن قائل بأن التطرف في المدن مغاير لماثله في المجتمعات الفلاحية ، ومن أخذ يضع الفروق ، مشعبا ومميزاً ، بين التطرف الرجعي ، والتطرف الثوري ، وبين

المستقبلي وقرينه التقليدي ، وقد عبر عن هذه المواقف رجال السياسة والفكر ورجال الدين من مختلف الاتجاهات ؛ وإن كان ذلك التركيز على عدم تجانس الحركة كظاهرة من قبل الجميع ، لم يكن سوى تكتيكاً مرحلياً لتحديد التناقضات وترسيم الاختلافات والفروق بين مختلف القوى البرلمانية لإضعاف مواقف الخصوم السياسيين ، واتخاذ مواقف تلائم الرغبة لكسب واستقطاب الناخبين ، وربما كان القصور ناتجاً عن الصعوبة البالغة في فهم وتقدير الظاهرة الجديدة ، التي ضمت مختلف الشرائح الاجتماعية ، معبرة بشكل ما عن ائتلاف اجتماعي لم يكن له نظير في السابق . ولم يكن من اليسير استقراء الظاهرة من وجهات نظر التحليلات والتعليلات السياسية التقليدية السابقة .

في الثلاثينات أدت الأزمات الاقتصادية ونشوء الفكر المتطرف النازي في ألمانيا إلى تفاقم الظاهرة التي أصبحت تهدد النظم الليبرالية الديموقراطية في أوروبا كلها فلم يعد التطرف هامشياً بل أدى إلى مضاعفات على المستوى الدولي ، وكانت التفسيرات والمواقف في معظمها تعبر عن الإدانة وتوجيه الرأي العام الديموقراطي إلى وجهة مضادة للتطرف ومعادية للنازية والفاشية ، وكان هناك التزام سياسي كبير من هذه الناحية ، فتجددت أنماط التحليل والتقويم التأريخي ، حتى لا يكون الحكم على المراحل السابقة جزافياً ومؤطراً ، فنشأت نظريات جديدة لها هويتها محاولة تكثيف الجهود لمواجهة الخطر الداهم ، فنظريات " ردة الفعل الشعبي " و " الوقفة التاريخية " و " التبوء " التي أشرنا إليها ، صارت تهدف إلى كشف النقاب عن الظاهرة ، متفقة جميعها على أنها " مرض تاريخي " له من المضاعفات ما أدى إلى نشوب الحرب العالمية الثانية ؛ فاتحدت بذلك وجهات النظر متفقة على القاسم المشترك للظاهرتين ، الفاشية والنازية ، دون النزوع إلى التفصيلات اللغوية ، وهكذا كان اليقين ورسوخ فكرة ضرورة مناهضة التطرف الفكري بما يسمى بالنضال ضد الفاشية ودحرها .

مصطلح " إشكالية الأزمة " الذي طغى على التيارات الفكرية لمواجهة الفاشية ، في الأدب وعلم الاجتماع والاقتصاد ، أدى إلى ظهور حركة تجديدية لأدوات الفهم والتفهيم للحقائق ، بما يتعدى الأرضية

السياسية ، فكسرت الأطروحات الجديدة وأمواج الفكر السياج متعدية الميدان التاريخي السياسي وعالجت وجهات عامة مرتبطة بأزمة الهيكل الاجتماعي في مجمله ، ومكافحة الظاهرة بالحكم إلى العقل في مقابل اللاعقلانية الضاربة أطنابها على كافة المستويات في المجتمع ، وكانت المهمة شاقة حيث " عقلنة غير المعقول "[١٨] كان الهدف الرئيسي في تلك المرحلة التي كانت فيها التصرفات الإنسانية خارجة عن ميدان العقل[١٩] وعن عقلانية الحساب الاقتصادي للفائدة والمصلحة وعن القيم السلوكية الأخلاقية والروحية مما أدى بدوره إلى نشوء أزمة العلوم والتعليم ، فعلم الاجتماع كـ " علم للتوافق الاجتماعي " ، وعلم الاقتصاد " كونه علم الاتزان الاقتصادي " ونشأ علم آخر هو " علم الأزمة " الناتج عن " التراكم " وحصيلته ، مما يفرض الرجوع إلى علم النفس الاجتماعي لتحديد معالم العلاقة بين الفرد والمجتمع في فترة لا يمكن فيها توقع المفاجآت السلوكية .

نموذج ليبست ١٩٦٠م ، يعتبر مرجعاً هاماً لدراسة ظاهرة التطرف الأوروبي ، فهو يؤكد بأن : " من الأمور المعقولة وجود علاقة تربط بين القاعدة الاجتماعية والفكر التنظيري [الإيديولوجية] " فالحركات السياسية تنقسم فيما يصفه " يسار يدعو إلى المساواة " وإلى التغيير وإلى التجديد ، تسانده الطبقات الدنيا ، وإلى " يمين " معتدل ومحافظ تسانده طبقة الملاك والأرستقراطيين ، ثم " الوسط " تعاضده الطبقات الوسطى ، فعندما يكون هناك هدوء اجتماعي تعبر كل طبقة عن إرادتها وأفكارها بالطرق الديموقراطية سواء كانت اشتراكية نهضوية ، أو معتدلة محافظة ليبرالية ، ولكن ما إن تظهر الأزمات والخلل الاجتماعي والاقتصادي حتى يطفو على السطح الجزء المتطرف لكل منها ، فالشيوعية إلى اليسار ، والديكتاتورية المحافظة على اليمين ، أما الفاشية فهي " التطرف الوسط " فقد أخذ ليبست بعين الاعتبار التفسيرات السابقة له متحققا من أنه في فوضى عدم الثقة وغياب الأمان والاستقرار في مرحلة تركيز التصنيع هو العامل الرئيسي في تغيير معالم الشرائح الوسطى في المجتمع ويدفع بها في اتجاه متراجع مع أن هذه الشرائح كانت مثالاً في النضال ضد الاستعمار وكان لها السهم الأوفر في تقدم

الحركات العقلانية في مراحل سابقة ، ولكن ما إن يستجد ما يهدف إلى التغيير ومسابقة الزمن[٢٠] وبسرعة كبيرة حتى ترى جزءا كبيراً منها يتعلق بأفكار أصولية جذرية متطرفة وغير عقلانية تسير في اتجاه مضاد لسير التاريخ، في محاولة للاستيلاء على السلطة لبناء ذلك الأمان والاستقرار التقليدي وإيقاف سير التحديث " الحقبة الصناعية " وبذلك تنمو حركات مناهضة للمنطق وتتجاوز فهم العقل .

* * *

– سيماء التطرف الفكري ظاهرة مرتبطة بالتاريخ الإنساني ، تبرز كأحد سمات المجتمع عندما تتوافر الظروف الموضوعية السياسية والاجتماعية حيث تعبر عن نفسها في مظهري السمو والفوقية من جهة والعنف من جهة أخرى وكثيرا ما يكون هذا التعبير نتيجة للتطورات الناتجة عن فكر تحديثي أو فلسفة جديدة للنمو . وبذلك يأتي هذا التطرف متستراً بأثواب متعددة الألوان ، مختلفة الأشكال وجميعها يفسر الماضي بأدوات قد تكون دينية أو قومية أو مادية ، وفي معظمها ترنو إلى بناء الماضي في حاضر تغيرت فيه العلائق ولغة الخطاب ، كما أن عشوائية الفعل وديماجوجية الطرح قد تتناسب في بعض الأحيان مع المفاهيم السائدة ورخوية الضمير السياسي في المجتمع والانفصام الذي يعيشه الفرد نتيجة ما يتلقاه في المعاهد التعليمية من مبادئ وإيحاءات خالية من الدقة متناقضة في التفسير ومع السلوك اليومي الذي يعيشه بين الآخرين .

– في فترة ما بين الحربين العالميتين برزت ظاهرتان للتطرف الفكري جديرتان بالبحث والتمعن مرتكزتان على الفكر الفاشي وتابعه النازي ، ظاهرة السمو والفوقية والتعالي التي أدت بدورها إلى العنف ثم إلى كارثة الحرب الكونية . فما هي القيم والقاسم المشترك بينها وبين أفكار التطرف في الشرق اليوم ؟ . وما هي السبل الفكرية الكفيلة المؤدية إلى انبعاث جديد ونهضة دون اللجوء إلى أدوات وأساليب تنبذها الأديان والطرف الخير من الطبيعة الإنسانية ؟

الدكتور : إبراهيم المقدود

الهوامش

١ – ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، بيروت ص ١٧ .

٢ – محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة : مقدمة الفصل في الملل والأهواء والنحل ص ١٧ .

٣ – عبد الله العروي : ثقافتنا في ضوء التاريخ ص ١٨٨ ، بيروت ١٩٨٣م ، أنظر أيضاً عبد المجيد مزيان : التوازن بين الفكر الديني والفكر العلمي عند ابن خلدون ، في إبن خلدون والفكر العربي المعاصر ، تونس ١٩٨٠م ص ٢٢٣ ومايلي .

٤ – محمد محفوظ : ابن حزم وابن خلدون ، مجلة الفكر ص ٤٢ – ٤٨ عدد ١ ١٩٨٣م تونس .

٥ – ابن حزم : الفصل . . . (س إ) ص ١٦٨ الجزء الأول .

٦ – أنظر نولت : النظم الليبرالية والحركات الفاشية ، بولونيا ١٩٧٠م ص١٢ وما يليها E. Nolte : La crisi dei regimi liberale ei movimenti fascisti Bologna, 1970 pp12 sgg .

٧ – المقصود بالقيم الجمالية قيم التناغم والاتزان في الشكل والموضوع . أنظر صورة الإنسان الجديد في البيان المستقبلي Il Manifesto Futurista والاتجاهات الفكرية لتيار الدادائية والانطباعيين في مجلة المستقبليين " Lacerba, 1, n20, 1931 ص٢٢١ "

٨ – مفهوم العقلانية المتوافق مع تفسير ابن حزم : التجربة العملية الحسية وما يقبله العقل .

٩ – تقوم نظرية السمو والفوقية على فكر نيتشة الذي نادى بالرفع من شأن ما تحتويه النفس الإنسانية من اندفاع حيوي جاعلاً إياه في مرتبة أرقى من العقل منادياً بإعادة النظر في جميع القيم الإنسانية مبشراً بالإنسان الفوقي الجديد ، الأعلى والمثالي ، ولا يبعد هذا عن سمو الفرد/ الفريق/ الجماعة في خطاب الفكر المتطرف المعاصر من حيث سمو الفريق وكفر من

دونه ؛ أنظر حسن صادق : جذور الفتنة في الفرق الإسلامية ، القاهرة ١٩٩١م ص ٣٤٩ . وكذلك شكري مصطفى : كتاب الخلافة . وأيضاً صالح سرية في كتابه الفريضة الغائبة .

١٠ – من أهم ما كتب في هذا المجال مؤلفات مؤرخ الفترة الفاشية رينزو دي فليتشي ، أنظر : الفاشية ، تفسير المعاصرين والمؤرخين ؛ وأيضاً حوار حول الفاشية وموسيليني الأسطورة ومختارات عن الفاشية : الحكم عليها سياسياً والحكم عليها تاريخياً (أنظر المراجع والمصادر) .

١١ – تعرض نولت إلى النظرية الفاشية في أكثر من عمل قيم نذكر منها جذور الفاشية الثلاثة ١٩٦٧م ، وأزمة النظم الليبرالية والحركات الفاشية ١٩٧٠م .

١٢ – أنظر مالك بن نبي : مقياس القيم النفسية والاجتماعية الدالة على أحوال التطور لدى ابن خلدون في شروط النهضة بيروت ١٩٧٩م ص٦٦ .

١٣ – اقتحامات تلقائية لاستمرارية العملية الشعورية من جانب المركبات "العقد" اللاشعورية وجذبة التحلي . أنظر كمال دسوقي : ذخيرة علوم النفس ، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٨٨م ص٣٦٩ .

١٤ – أنظر الهروب من الحرية Fromm, Escape From Freedom, Milano, 1963 ص٩٢ وص ١١٨ . ووليام ريخ : السيكولوجية الجماعية للفاشية ودراسة متقاطعة في فكر الحركات ، كامبردج ١٩٦٥ .

١٥ – أنظر مالك بن نبي في شروط النهضة ، فصل توجيه رأس المال والثروة ص ١٠٩ وص١١٣ ، وأيضاً ابن خلدون عن الملك والانحطاط ونتائج تراكم رأس المال . والاقتصاد في دوريه السلبي والإيجابي فهو " يعتبرها أدواراً متناقضة في حركة تطور المجتمع والدولة في إطار الجدلية الاجتماعية " . محمد زنيبر ، الحكم والاقتصاد عند ابن خلدون في " ابن خلدون والفكر العربي المعاصر ص ١٧٩ ، وص ١٩٩ ، وص ٢٠٥ " .

١٦ – مفهوم الحرية في الإسلام ضمان حرية الفرد وبالتالي شعور المسلم وتوقه إلى الحرية ، أنتونينو بيلليتيري ، بعض الأمثلة عن فكرة الحرية في حركة التحديث الإسلامي ، أنظر

أيضاً ، بيانكا ماريا سكارشا أموريتي ، مفهوم الحرية فيما كتب عن الاقتصاد الإسلامي ، مجلة ألِف باء ، عدد ٧/٦ باليرمو ١٩٨٦م .

١٧ – جوليتي رئيس الحكومة الديموقراطية في ذلك الوقت ، كان يصر على أنها ظاهرة غير جديرة بالاهتمام ، فهي كفقاعة الصابون ، أنظر محاضر البرلمان الإيطالي عام ١٩٢١م في مجلة المحاضر البرلمانية ، السياسة الداخلية بين الاشتراكية والفاشية ، روما ١٩٢١م .

١٨ – Leimotiv في علوم الاجتماع .

١٩ – ابن حزم : الفصل في . . سبقت الإشارة . .

٢٠ – المفكر المسلم " أبو الحسن المراكشي " كان أول من أدرك فكرة اتصال الزمن بالتاريخ والصلة الوثيقة بنهضة العالم المادي ، ونادى مالك ابن نبي في شروط النهضة ص ١٤٠ إلى تحيد فكرة الزمن الذي يتحد ومعنى التأثير والإنتاج

المصادر والمراجع

١ – مالك ابن نبي : شروط النهضة ، دار الفكر ، لبنان ١٩٧٩م .

٢ – جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : ندوة ابن خلدون والفكر العربي المعاصر ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨٠ .

٣ – ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ .

٤ – حسن صادق : جذور الفتنة في الفرق الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩١م .

٥ – عبد الله العروي : ثقافتنا في ضوء التاريخ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء / بيروت ١٩٨٣م .

٦ – عبد القادر عودة الإسلام وأوضاعنا السياسية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦م .

٧ – محمد عمارة : الإمام محمد عبده ، مجدد الإسلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ؛ بيروت ١٩٨١م .

٨ – أدونيس ، محمد سعيد ، الثابت والمتحول ، ٣ صدمة الحداثة ، بيروت ، ١٩٨٣م .

٩ – الغزالي ، أبو حامد محمد ، إحياء علوم الدين ، الدار المصرية اللبنانية ، بدون تاريخ .

١٠ – سميح عاطف الزين : حركة التاريخ في المفهوم الإسلامي ، دار الكتاب المصري / اللبناني ، القاهرة/بيروت ١٩٩١م .

١١ – كمال الدسوقي : ذخيرة علوم النفس ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٨م .